ألف التفخيم

في اللهجات العربية الحديثة في منطقة الجزيرة العراقية

الدكتور خالد اسماعيل علي
استاذ مساعد ـ قسم الدراسات الشرقية

المقصود بألف التفخيم هنا هو أن ينحى بالالف الممدودة نحو الواو ، دون أن تلفظ واوا خالصة • وقد عرف النحاة القدامى وعلماء القراءآت الف التفخيم كما عرفوا النصب أو كما يسمى ايضا (الفتح أو التفخيم) والامالة • واجمعوا على أن التفخيم هو : أن ينحى بالالف نحو الواو : والنصب : هو فتح الفم بلفظ الحرف وهو فيما بعده الف اظهر[1] ، والامالة هى : أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة والالف نحو الياء • وقد قاموا بشرح هذه المصطلحات والتعليق عليها بقدر ما تيسر لديهم من الروايات عنها • وكان أوفرها شرحا الامالة ثم النصب واقلها الف التفخيم لندرة ما اثر عنها[2] •

ان وصف الاصوات اللغوية من الامور المهمة فى اية دراسة تتعلق

---

(١) سالتزم هنا بمصطلح النصب الذى يستخدمه سيبويه •

(٢) سيبويه : الكتاب ، ٢/٢٥٨ وما يلى ، ص ٤٠٤ ؛
ابن الانبارى : اسرار العربية ، ٤٠٦ـ٤١٩ ، ابن فارس : الصاحبى ٢٠ ؛ بن جني : سر صناعة الاعراب ، ١/٥٦ـ٥٩ •
ابن يعيش : شرح مفصل الزمخشرى ، ١٤٦١ـ١٤٦٢ ، الاشمونى : شرح الفية ابن مالك ، ٣/٧٦٢ـ٧٦٣ ، ابن الجزرى : النشر فى القراءآت العشر ، ٢/٢٩ـ٣٠ ، السيوطى : الاشباه والنظائر ، ٢/١٣٤ ، الدكتور ابراهيم انيس : فى اللهجات العربية ٦٠ـ٦٩ •

C. Brockelmann: GVG 1/142 ; C. Rabin: Ancient West-Arabian, 107 . Handbuch der Semitisik, 3 Band, 2&3 Abschnitt, 217.

باللهجات ومن اجل ادراك نطق الف التفخيم اقول ان هناك طريقتين لوصف الاصوات اللغوية ، اولا الطريقة العلمية الحديثة وثانيا الطريقة الحسية المأثورة .

اما الطريقة الاولى فهى تقوم على استخدام الاجهزة العلمية الحديثة فى قياس ذبذبات الاصوات وتحديد مخارجها(٣) .

ولما كنا نفتقر هنا الى مثل هذه الاجهزة فأننى لا اريد أن الجأ ، من اجل تصور نطق الف التفخيم أو الف الامالة ، الى وصف الحركات واصوات المد الموجودة فى اللغات الاوربية المشهورة والتى قام علماء الاصوات المحدثون بقياسها ووصفها ، ثم اعود فاطبق نتائج بحوثهم على الحركات واصوات المد فى اللغة العربية ولهجاتها . وذلك لان الحركات وأصوات المد تتباين من لغة الى اخرى بدرجات تتسع وتضيق . وان هذا التباين يزداد اكثر بين المجموعات اللغوية ذات الاصول المتخالفة كالمجموعة الهندواوربية والمجموعة الساميّة . وعليه فأن أى تطبيق لمثل تلك النتائج سيقود الى اخطاء كبيرة خاصة فى هذه المراحل من الدراسات الحديثة للغة العربية ولهجاتها والتى يجب أن تبنى على أسس سليمة لكى يكون البناء عليها سليما . وان الافضل من ذلك كله التريث لحين تيسر مثل هذه الاجهزة ، ثم الشروع بدراسة الالفاظ دراسة واقعية .

واما الطريقة الثانية فهى التى تعتمد على ما يشعر به المتكلم من تغير اعضاء النطق حين الكلام وما يراه وما يسمعه حين نطق الالفاظ .

وبما أن لهذه الطريقة جذوراً تاريخية فمن المفيد هنا أن نذكر رأى النحاة القدامى فى وصف الالف والواو ، لان الف التفخيم تمثل مرحلة وسطا بين الالف المنصوبة والواو .

---

(3) Bertil Malmbrg : Phonetics.

ان اول من درس الاصوات اللغوية دراسة منظمة هو سيبويه ، تلميذ الخليل المبدع الاول ، ولم يزد عليه المتأخرون الا اشياء يسيرة • وقد درس سيبويه هذه الاصوات على اساسين : اولا تحديد مخارج الحروف ، وثانيا بيان صفاتها وأحوالها • فمن جهة مخارجها يذكر أن مخرج الالف من الحلق ، ومما بين الشفتين مخرج الواو(٤) • أما من جهة صفاتها واحوالها فانه يصنفها الى حروف مجهورة معرفا الحرف المجهور بقوله انه (حرف اشبع الاعتماد فى موضعه ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد ويجرى الصوت • فهذه حال المجهورة فى الحلق والفم(٥) وبناء على هذا التعريف فان الالف والواو هما من الحروف المجهورة ، والى مهموسة معرفا الحرف المهموس بقوله (اضعف الاعتماد فى موضعه حتى جرى النفس معه وانت تعرف ذلك اذا اعتبرت فرددت الحرف مع جرى النفس • ولو أردت ذلك فى المجهورة لم تقدر عليه(٦) • ثم يصنف سيبويه الحروف الى شديدة ورخوة ولينة •

فأما اللينة فهي (الواو والياء لان مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما ، كقولك وأي والواو • وان شئت أجريت الصوت ومددت • ومنها الهاوي وهو حرف لين اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو ، لانك قد تضم شفتيك في الواو ، وترفع لسانك قبل الحنك وهي الالف • وهذه الثلاثة هي أخفى الحروف لاتساع مخرجها • وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً الالف ثم الياء ثم الواو) •(٧) ثم يصنفها الى منفتحة ومطبقة • فالالف والياء والواو من الحروف المنفتحة

---

(٤) سيبويه : الكتاب ، ٢/٤٠٥ •
(٥) المصدر نفسه • الموضع نفسه •
(٦) المصدر نفسه • الموضع نفسه •
(٧) المصدر نفسه ، ٤٠٦ •

(لانك لا تطبق لشيء منهن لسانك ترفعه الى الحنك الاعلى) .[٨]

ان الوصف السابق للحروف قريب جدا من الصواب حسب ما دلت عليه الدراسات الصوتية الحديثة . الا ان الدكتور ابراهيم أنيس يذكر انه ليس هناك ما يواخذ به سيبويه غير تحديده الحلق مخرجا للالف . وقد انتبه الى هذا المستشرقون أيضا . وعلل الدكتور ابراهيم أنيس هذا قائلا انه (ربما أراد بكلمة « الالف » تفسير المقصود من كلمة « الهمزة » التى ـ فيما يبدو ـ كانت مصطلحا صوتياً غير مألوف في أيامه ، أو حديث العهد بين الدارسين فأراد توضيحه بذكر مرادف له أكثر شهرة والفة).[٩] وأشار الى أن ان ابن جنى وغيره من النحاة القدامى فرقوا بين الالف والف المد في المخرج[١٠] وانني أتفق مع الدكتور أنيس فى أن سيبويه أراد بالالف الهمزة حيث يفهم هذا من سياق الفصل الخاص بالحروف وتفريقه بين الالف المرادفة للهمزة وألفي الامالة والتفخيم .

واذا ما حاولنا وصف الف التفخيم في اللهجات العربية فى منطقة الجزيرة حسب الطريقة الحسية مستعينين بمصطلحات سيبويه لوجدنا ما يأتي :

---

(٨) المصدر نفسه . الموضع نفسه .
(٩) الدكتور ابراهيم انيس : الاصوات اللغوية ، ٨٤ .
(١٠) المصدر نفسه ، ٨٥ .

التوزيع الجغرافي للتفخيم والإمالة

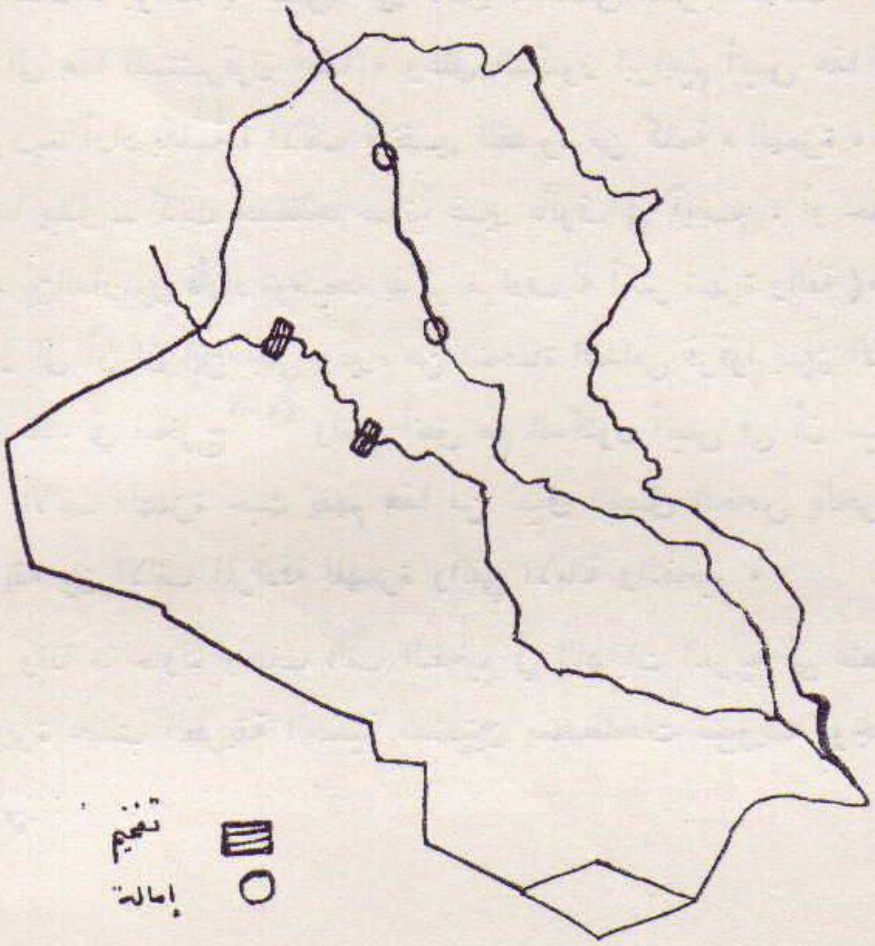

١ – أنها من الحروف المجهورة .

٢ – انها من حروف اللين .

٣ – انها من الحروف شبه المنفتحة .

٤ – ان الفم ينفتح معها قليلا مع تقوس الشفتين تقوساً بسيطاً .

٥ – ان اللسان يتقوس معها قليلا ويرجع الى الوراء شيئاً يسيراً .

وهذا النطق الغريب لا يمكن تصوره تماماً دون استخدام الاجهزة الحديثة والتسجيلات التي تنقل الصوت الحي بكامل أحواله .

لقد قمت بدراسة الف التفخيم في منطقة الجزيرة بناء على ما تجمع لدي من لاخبار عنها عن طريق الناطقين بها ، بالاستماع اليهم وهم يتحدثون على السجيّة ، وبتوجيه أسئلة معينة اليهم • وقد استمعت الى الشيوخ والشباب ، رجالا ونساء ، متعلمين واميين ، والاطفال • وانني أعتقد بأن الدراسات المقبلة ستكون أوفى وأدق حين يعود بالامكان التجول في المناطق التي تنطق فيها هذه الالف ، والمكوث فيها مدة من الزمن تكفي لاعطاء صورة صادقة عن الذين ينطقون بها واصولهم وأماكن سكناهم أو تجوالهم بالضبط •

وقبل أن ننصرف الى دراسة خصائص الف التفخيم من المفيد أن نرسم صورة لتوزيع الف المد في منطقة الجزيرة • يمكننا تمييز ثلاثة أنواع من الف المد تتمثل في ثلاث شعب من لهجات الجزيرة •

١ ـ الشعبة الاولى التي تنحو بالالف الممدودة نحو الياء • وهو ما أطلق عليه النحاة قديما مصطلح (الامالة) • وهذا النطق يسود قلب المدن القديمة الواقعة على نهر دجلة كتكريت والموصل •

٢ ـ الشعبة التى تنحو بالالف الممدودة نحو الواو • وهو ما اطلق عليه النحاة قديماً مصلح (التفخيم) • وهذا النطق يسود فى بعض الاحياء في المدن القديمة الواقعة على نهر الفرات ، مثل هيت وعنه وراوة •

٣ ـ الشعبة التى تنصب الالف • وهذا النطق يسود بقية مناطق الجزيرة وكذلك باقي مناطق العراق ، والمعروف اليوم فى اللغة العربية الفصحى •

وليس المقصود من هذه الدراسة تعيين الاحياء التي يسود فيها نطق الف التفخيم أو الامالة أو النصف ، والذين ينطقون بها واصولهم • فان هذا سيكون موضوع دراسة اخرى • بل القصد هو دراسة هذا النطق وأحواله بالذات •

تنطق كل الف ممدودة عموما سواء كانت فى داخل الكلمة أو فى آخرها الف تفخيم فى هيت وبعض أحياء عنه وراوة • ومن أجل توضيح ذلك نورد أوزان الافعال والاسماء الشائعة والتى تظهر فيها هذه الالف •

الافعـــــال

١ ـ فَعَلَ :

أ ـ ماضي الاجوف الواوي ، مثل : قاُم (كاُم)[١١] ، خاُف ، جاُع ، ناُم ، باُق (باُك) ، فاُر ، باُر ، صاُم ، ثاُر ، راُح •

ب ـ ماضى الاجوف اليائي ، مثل صار ، صاد ، صاح ، سار ، باع ، شال ، راد ، فاد ، عاط •

٢ ـ فاعَلَ ومضارعه الذى يصاغ بكسر ياء المضارعة خطفاً ، مثل :

قاُتل (يقاُتل) ، حاُرب (يحاُرب) ساُفر (يساُفر) ، باُرك (يباُرك) ، شاُفى (يشاُفى) ، حاُمى (يحامى) ، واُزن (يواُزن) ، ساُير (يساُير) ، واُفق (يواُفق) ، ناُصر (يناُصر) ، قاُوم (يقاُوم) طاُلب (يطاُلب) ، صاُلح (يصاُلح) ، راُقب (يراُقب) ، باُوع (يباُوع) ، راُضى (يراُضي) •

٣ ـ تَفاعَلَ ومضارعه الذى يصاغ بتسكين التاء سكوناً شبه تام وكسر ياء المضارعة خطفاً ، مثل :

تقاُتل (يتقاُتل) ، تحاُرب (يتحاُرب) ، تفاُهم (يتفاُهم) ، تصاُلح (يتصاُلح) ، تصاُفى (يتصاُفى) ، تساُبق (يتساُبق) ، تغاُلب (يتغاُلب) ، تضاُرب (يتضاُرب) ، تعاُرك (يتعاُرك) ، تعاُدى (يتعاُدى) ، تفشاُقى (يتشاُقى) ، تشاُرك (يتشاُرك) •

---

(١١) رمزت الى الف التفخيم بالف فوقها ضمة •

٤ ـ افتَعَلَ ومضارعه للاجوفين الواوى واليائي • ويصاغ مضارعه بكسر ياء المضارعة خطفاً مثل :

ارتاُح (يرتاُح) ، احتاُر (يحتاُر) ، اختاُر (يختاُر) •

الأسماء

١ ـ فاعِلَ (فاعلة) ويصاغ وزن فاعله بتسكين عين الفعل مثل :

قاُعد (قاُعدة) أو كاُعد (كاُعدة) ، راُكب (راُكبة) ، قاُتل (قاُتلة) ، جاُمد (جاُمدة) ، صاُبر (صاُبرة) ، حاُمد (حاُمدة) ، عاُبر (عاُبرة) ، ساُبح (ساُبحة) ، راكض (راُكضة) ، أوخذ (أوخذه) ، باُرد (باُردة) ، خاُتل (خاُتلة) ، ناُيم (ناُيمة) ، صاُيم (صاُيمة) ، راُيح (راُيحة)، ساُيق (ساُيقة) ، خاُيف (خاُيفة) ، قاُيم (قاُيمة) أو كاُيم (كاُيمة) ، شاُيل (شاُيلة) ناُسي (ناُسية) ، ماُشي (ماُشية) •

٢ ـ فَعّال (فَعّالة) بفتح الفاء وتشديد العين • ويصاغ هذا الوزن بكسر الحرف الاول بدلا من فتحه مثل :

حِيّاُل (حِيّاُلة) ، بِيّاُع (بِيّاُعه) ، كِنّاُس ، خِيّاُل ، خِيّاُط (خِيّاُطة) ، سِمّاُج من سِمّاُك ، جِذّاُب (جِذّاُبة) من كِذّاُب ، حِمّاُل ، دِبّاُغ ، صِبّاُغ ، حِدّاُد ، صِيّاُد ، سِحّاُر (سِحّاُرة) ، خِوّاُف (خِوّاُفة) ، خِبّاُز (خِبّاُزة) ، خِدّاُم (خِدّاُمة) ، نِدّاُف ، قِطّاُن ، رِوّاف •

٣ ـ فِعال (فعالة) بكسر الفاء ويصاغ هذا الوزن بتسكين الحرف الاول سكوناً شبه تام ، مثل :

صياُح ، سياُج ، حماُر ، قتاُل ، عياُط ، سلاُح ، خياُر ، فراُش ، طحاُل ، لثاُم ، خماُر ، عتاُب ، حزاُم ، جراُب من

قرأب ، ذراع ، عناد ، عراك ، لباس ، لجام ، ضيافة ، نجارة ، حدادة ، صياغة ، فلاحة ، علاوة .

٤ - فَعلان (فَعلانة) بفتح الفاء . ويصاغ هذا الوزن بكسر الحرف الاول بدلا من فتحه ، والحاق تاء التأنيث بآخر المذكر للدلالة على المؤنث ، ولا يصاغ المؤنث على وزن (فَعلى) وذلك مثل :

حِيران (حِيرانة) ، زِعلان (زِعلانه) ، نِسيان (نِسانة) ، تِعبان (تِعبانة) ، بِردان (بِردانة) ، سِكران (سِكرانة) ، وِجعان (وِجعانة) ، هِربان (هِربانة) ، هِلكان (هِلكانة) ، تِلفان (تِلفانه) ، خِدران (خِدرانة) .

٥ - فَعال بفتح الفاء . ويصاغ هذا الوزن بتسكين الحرف الاول سكونا شبه تام أو بفتحه على الاصل وذلك في الكلمات الفصيحة الدخيلة على اللهجة أو لاسباب اخرى مثل : جَمال بفتح الجيم لئلا يلتبس بجِمال جمع جمل . وقد تكون الفتحة بتأثير من الفصحى ، سراب ، سنام ، حلال وحرام بتسكين الحاء وأحياناً بالفتح بتأثير من اللغة الفصحى ، خبال ، دراج ، عجاج .

٦ - فُعال (فُعالة) بضم الفاء . يصاغ هذا الوزن بتسكين الحرف الاول سكونا شبه تام بدلا من ضمه على الاصل مثل :

صراخ ، سعال ، زبالة ، نخالة ، برادة ، حثالة ، نشارة .

٧ - الاوزان التي تنتهي بألف ممدودة مثل :

سناء ، رجاء ، هيفاء ، وفاء ، صفاء ، تلثاء من ثلاثاء ، أربعاء ، وكذلك (لا) تنطق (لو) كما في العبرية .

أسماء الاعلام :

وترد هذه من الاوزان السابقة أو أوزان أخرى ، مثل :

جاُبر ، حاُمد ، خاُلص ، ناُفع ، فاُلح ، صاُبر ، فاُضل ، صاُلح ، جاُسم ، ناُصر ، صبّاُر ، دحّاُم ، عبدالستاُر ، عبدالرحماُن ، عبدالقاُدر ، هلاُل ، عثماُن ، عفتاُن ، سلماُن ، سليماُن (بلفظ الياء كسرة) ، قحطاُن ، عدناُن ، سفياُن ، شعلاُن ، حمداُن ، نعماُن ، لقماُن ، غيداُن . (بلفظ الياء كسرة) ، عاُصمة ، راُسمة ، واُبلة ، ذاُبلة ، خاُلدة ، ناُدرة ، ريحاُنة .

الجمـــــوع :

١ ـ جمع المؤنث السالم .

تلفظ الف جمع المؤنث السالم باطراد الف تفخيم . ونورد هنا الاوزان الشائعة لهذا الجمع :

أ ـ جمع فَعْلة بفتح الفاء وسكون العين ، مثل :

جرياُت من قرياُت ، نخلاُت ، نعجاُت ، ختلاُت ، صيحاُت ، فرداُت ، صعداُت ، نزلاُت ، دوراُت وقفاُت أو (وكفاُت) ، هجماُت ، دفعاُت ، هزاُت ، كفشاُت ، لفّاُت جرّاُت ، جلساُت ، قعداُت أو (گعداُت) ، بكراُت .

ويندرج تحت هذا وزن فِعله بكسر الفاء والذى هو أقل شهرة ، مثل وحداُت ، ضحكاُت ، كلماُت أو (چلماُت) .

ب ـ جمع فاعله . ويصاغ بتسكين عين الفعل ، مثل :

قاعداُت ، شارباُت ، اوكلاُت ، سامعاُت ، حامداُت ، عابـرات ، سابحاُت ، راكضاُت ، دايحاُت ، غاسلاُت ، عاجناُت ، خابزاُت .... الخ . كل ذلك بلفظ الالف الاولى فتحة مفخمة .

جـ ـ جمع فعلانة . ويصاغ بكسر الحرف الاول كما سبق القول ، ونطق الف المد التي تسبق الف جمع المؤنث فتحة مفخمة ، مثل :

فِرحناُت من فِرحاناُت ، خِدرناُت من خدراناُت ، بِردناُت من برداناُت .... الخ

د ـ اوزان اخرى لجمع المؤنث السالث مثل :

مِسعِدات بكسر الميم والسين وسكون والعين ، مسفراتْ بسكون الميم ونطق الف المد الاولى فتحة مفخمة ، مقطعاُت بنطق الواو ضمة، محزماُت بسكون الميم الاولى وتخفيف تشديد الزاء .

٢ ـ جموع التكسير . وترد بأوزان مختلفة مثل :

أ ـ أفعال . ويصاغ هذا الوزن بحذف الحرف الاول وسكون الثانى سكونا شبه تام مثل :

قواُق (كواُك) جمع قُوق أو (كُوك) ، نهاُر جمع نهر ، حواُض ، كياُس ، رباُع ، خماُس ، سداُس ، براُج ، خواُل ، عماُم ، صحاُب ، سناُن ، جراُص من أجراس ، غراُب جمع غريب ، فراخْ ، ولاُد .

ب ـ فِعال بكسر الفاء . ويصاغ هذا الوزن بسكون الفاء سكونا شبه تام ، مثل :

حباُل ، كلاُب أو (چلاُب) ، جباُل ، ذياُب جراُر جمع جرّة ، سلاُل جمع سلّة .

جـ ـ فعلان بفتح الفاء ويصاغ هذا الوزن بكسر الفاء ، مثل :

بِعراُن ، غِزلاُن ، جِرباُن جمع جراُب ، رِغفاُن ، غِرضاُن ، صِبياُن ، قِطعاُن أو (كطعاُن) .. الخ

النبـــــرة :

من استقراء عدد من الكلما التي يرد فيها أكثر من حرف نقف على

ملاحظة هامة ، وهي أن حرف المد الاول يختزل الى الحركة التي تناسبه بينما يبقى حرف المد الثانى على حاله ، فاذا كان حرف المد الاول مثلا الفا مفخمة يلفظ فتحة مفخمة واذا كان واواً يلفظ ضمة واذا كان ياء يلفظ كسرة .

وان أكثر الاوزان شيوعا في حالة المفرد هو وزن فاعول ، مثل :

حَنوت من حانوت ، فَنوس من فانوس ، سَطور من ساطور ، بَرود من بارود ، رَكوب من راكوب ، صَعود من صاعود ، نَعور من ناعور ، نَطور من ناطور ، نَقوط من ناقوط ، طَحونة من طاحونة ، رَزونة من رازونة ... الخ . كل ذلك يلفظ بفتحة مفخمة .

وهناك كلمات متفرقة ترد على أوزان شتى ، مثل :

جُعاْن من جُوعاْن من جَوعان بفتح الجيم وسكون الواو ، دُلاب بضم الدال (دِلاب بكسر الدال) من دُولاب (دِيلاب) جُراب من جوراب من جَورب بفتح الجيم وسكون الواو ، دِنار من دِينار ، قِطان من قِيطان ، سِلمان بسكون السين سكوناً شبه تام ، من سِليمان بالياء الممدودة من سُليمان بضم السين وفتح اللام وسكون الياء ، غِدان من غِيدان بياء المد من غَيدان بفتح الغين وسكون الياء .

أما بالنسبة للمجموع فهذا الاختزال أكثر شيوعا ونلاحظه في الاوزان الآتية :

١ ـ فواعيل . ويصاغ هذا الوزن بتسكين الفاء سكونا شبه تام ، مثل :

دوَليب من دواليب ، فَونيس من فوانيس ، رَوكيب من رواكيب ، صَوعيد من صواعيد ، روَكيض من رواكيض ، طَوحين من طواحين ، رَوزين من روازين ... وكذلك دككين من دكاكين ، شبَيك من شبابيك ، صَندِيق من صناديق ، تنير من تنانير ، عَرنيس من عرانيس ، بزَازين من بزازين .

ـ مفاعيل • ويصاغ هذا الوزن بتسكين الميم سكوناً شبه تام ، مثل :

مسَجين من مساجين ، مجَنين من مجانين ، مخَبيل من مخابيل ، مفَتيح من مفاتيح ، معَجيل من معاجيل معاكيل ، مصَريع من مصاريع ، مسَطير من مساطير ، مسَطيل من مساطيل ، معَزيب من معازيب ، مكَنيس من مكانيس ، مَرجيح من مراجيح •

٣ ـ فعلانين • ويصاغ هذا الوزن بكسر الفاء وهو جمع فعلان بكسر الفاء أيضا مثل :

حزَنين من حزنانين ، زعلَنين من زعلانين ، حيرَنين من حيرانين ، وجعَنين من وجعانين ، سَهرنين من سهرانين ، خَجلنين من خجلانين ، بَردنين من بردنين ، سَمعنين من سمعانين •••• الخ •

أما علة هذا الاختزال فأعتقد بأنها ترجع الى سقوط النبرة على المقطع الاخير من الكلمة والذى فيه حرف المدّ الثاني ، فيؤدي الجذب الى الآخر الى سرعة نطق حرف المدّ الاول والى اختزاله الى الحركة المناسبة نتيجة لذلك • وهذا الاختزال تنفرد به الشعبة الثانية من لهجات الجزيرة ، والتي تفخم الالف الممدودة دون اللهجات العراقية الاخرى ، كما يلاحظ ذلك أيضا في المحالّ التي تنصب الف المدّ في عنه وراوة •

وأما ما رواه النحاة القدامى بشأن الف التفخيم فانه يرجع أصلا الى ما نقله سيبويه من أن (الف التفخيم يعني بلغة أهل الحجاز فى قولهم الصلاة والزكاة والحياة)• وانالذى يثير الانتباه فىالنص السابق كلمة (يعنى) التي يبدو أنها اضيفت الى المتن في زمن لاحق • وهي المرة الوحيدة التى ترد فيها فى الفصل الخاص بالحروف ومخارجها وصفاتها •[١٢] اضافة الى انها ليست من مميزات اسلوب سيبويه في الكتابة • وكان أقرب الى

(١٢) سيبويه : الكتاب ، ٢/٤٠٤ـ٤٠٧ •

اسلوبه لو ان العبارة السابقة جاءت بالشكل الآتي (الف التفخيم قولك بلغة أهل الحجاز الصلاة والزكاة والحياة) ! والذى يخيل لي ان الناسخ الذى يظهر انه كان من أهل اللغة أيضا ، أراد أن يوضح عبارة (الف التفخيم) التى لم يشرحها سيبويه في مكان ما من كتابه كما فعل حين شرح الامالة ، فأضاف جملة (يعني) وما يليها • ويستثير الدهشة فى العبارة السابقة أيضا مضمونها • اذ ان (أهل الحجاز) لم يؤثر عنهم التفخيم الا في هذا النص • والمعروف انهم ينصبون (أو يفتحون) أى ينطقون الالف الممدودة خالصة •(١٣) وقد يميل بعضهم ، كما يذكر سيبويه نفسه في نص سابق لذلك •(١٤)

ان الشواهد السابقة التى ذكرت للتمثيل على الف التفخيم تستند فى أساسها على ما أثر من كتابة الكلمات الثلاث السابقة بالواو بدلا من الالف في القرآن الكريم هكذا : صلوة ، زكوة ، حيوة • ويضاف الى هذا أيضا : مشكوة ، نجوة ، غدوة ، منوة ، وربوا •

الا أن كتابة هذه الكلمات السابقة بالواو لا يدل حتما على أن الالف كانت تلفظ الفاً مفخمة قريبة من الواو • وانني أعتقد ان رسم الكلمات السابقة بالواو انما يشير الى طريقة خاصة متبعة في زمن معين فى رسم الاسماء والتي ترجع الى اصول معتلة الآخر بالواو • اذ ان صلوة من صلو وزكوة من زكو وحيوة من حيو ، وكذلك مشكوة من شكو ونجوة من نجو وغدوة من غدو ومنوة من منو وربوا من ربو ، كل ذلك على الاصل بابقاء الواو • وما حدث بعد ذلك من كتابة هذه الاسماء بالالف لا يمثل الا مرحلة لاحقة للمرحلة الاولى الغرض منها ان ترسم الكلمة كما تلفظ

---

(١٣) ابن الجزرى : النشر ، ٢/٣٠ ، الاشمونى : شرح الفية ابن مالك ، ٣/٧٦٢ ؛ الدكتور ابراهيم انيس : فى اللهجات العربية ، ٦٠-٦٣ •
(١٤) سيبويه : الكتاب ، ٢/٢٦١ •

لا على الاصل اللغوي . وانني أظن ان النحاة القدامى الذين شرحوا كتاب سيبويه لما عدموا أمثلة على الف التفخيم القريبة من الواو وجدوا في صلوة وزكوة وحيوة وغيرها بالواو فى الخط الحجازي ، لا كما وهموا بلغة أهل الحجاز ، أمثلة منظورة يمكن الاستشهاد بها فى التمثيل على الف التفخيم . وان الذى يؤيد هذا ان أهل الحجاز ، كما سلف القول ، لم يؤثر عنهم التفخيم بل النصب عموماً ، اضافة الى أن النحاة وعلماء القرآءات يجمعون على شيء واحد هو انه لا تجوز امالة صلوة وزكوة وحيوة أي انها تقرأ بالنصب ، ولم يجمعوا على تفخيم الفها يضاف الى ذلك ان عددا من الكلمات السابقة مثل مشكوة ونجوة وربوا قد قرئت بالامالة .(١٥)

وانني أعتقد أيضا ان رسم (احديهما) ، و (سويهن) فى الخط القرآني بالياء لا يدل كذلك على امالتهما بل ان رسمهما قد جرى على الاصل أيضا كما هي الحال بالنسبة لصلوة وزكوة وحياة اذ ان (احديهما) من احدى و (سويهن) من سوى ، وكذلك تورية وسموها بالياء ظنا منهم أنها من الاصل (ورى) ومزجية (مزجاة) من زجى .

وانني لا أتفق مع ابن جنى الذى يقول : (وعلى هذا كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة بالواو ، لان الالف مالت نحو الواو ، كما كتبوا احداهما وسواهن بالياء لمكان امالة الفتحة قبل الالف الى الكسرة)(١٦) .

واذا نظرنا الى الموضوع من جهة علم الصوت فليس من المقبول أن ينطق عدد ضئيل من الكلمات التي تنتهي بالف منقلبة عن واو بالتفخيم

---

(١٥) ابن الجزرى : النشر ٠٠ ١/٣٧-٣٨ ، ٨٣ .

(١٦) بن جني : سر صناعة الاعراب ١/٥٦ . وينسب رابن فى كتابه Ancient West-Arabian 106 هذا الاقتباس الى ابن منظور (لسان ١٥/٣٤٧) والصحيح هو ما ذكرنا .

وتكتب بالواو ولا يسري هذا العرف اللغوي على بقية الكلمات ذات العلة المشابهة ، أو الى غير ذلك من الالفات المنقلبة عن واو أو ربما الى غير ذلك من الفات المد • فان بن جني يذكر الف دعا وغزا وقام وصاغ وسلام من جملة الالفات المفخمة •(١٧) ولم يعرف رسم هذه الكلمات بالواو • هذا اذا أخذنا بالرسم دليلا على النطق وهو ليس دوماً كذلك •

ومما يوافق ما ذهبنا اليه الى حد كبير رأي رابن فى نطق ورسم صلوة وزكوة وحيوة وغيرها • اذ يظن ان الابقاء على الواو في الرسم لا يرجع تماما الى نطقها القريب من الواو لا غير ، وانما أيضا الى مرحلة كتابية أقدم من ذلك حين لم يكن استعمال الف المد في داخل الكلمة معروفا بعد • فابقي على الواو كأداة للتفريق بين الاسماء المنتهية بالالف والهاء وبين علامة التأنيث الاعتيادية • ويستطرد قائلا ان مما يؤيد رأيه انه لم يرد على حد علمه فى النصوص رسم صلوة بصورة (صلة)(١٨)

ومع أن النحاة القدامى لم يأتوا بتفسير صريح لالف التفخيم الا أن جميع الامثلة التي أوردوها على ذلك باستثناء كلمة (سلام) آنفة الذكر هى من اصول معتلة الآخر بالواو أو جوفاء واوية • وهذا يوحي بأن نطق الف هذه الكلمات بالتفخيم سببه كونها منقلبة عن واو • ان هذا التعليل الضمني معقول لو انه اقتصر على هذه الكلمات المعدودة • ولكن من المستبعد أن يقتصر تفخيم الالف على هذه الحالة • اذ انه اذا ما سرى نطق معين وتمكن وأصبح عادة لغوية فانه يخرج عن حالة ضيقة ويعم الحالات المشابهة أو القريبة ، مثل ما نقل الينا عن الامالة أو النصب قديما ، وما نجده اليوم فى اللهجات الحديثة • وانني أظن ان بداية الف التفخيم

---

(١٧) المصدر نفسه ١/٥٩ •

(8) C. Rabin : Ancient Fest-Arabian, 107.

كان انقلابها عن واو ، ثم عمت . أما الى أيّ درجة عمت فهذا ما لا نستطيع تثبيته بالدقة لان ما نقل الينا عن الف التفخيم قديما لا يعدو كلمات معدودة .

أما الف التفخيم في الجزيرة اليوم فان سبب نطقها هكذا كما أظن يعود أيضا أصلا الى انقلابها عن واو من الافعال الجوفاء الواوية أو المعتلة الآخر بالواو . ثم عم هذا النطق فأصبحت الالف المنصوبة تنطق كذلك الفا مفخمة . أما لماذا عم هذا النطق فلابد انه جرى لاسباب عديدة يمكن أن يكون منها كثرة استعمال عدد من الافعال ذات الالف المفخمة المنقلبة عن واو مثل قام ، قال ، راح ، جاع ... الخ اضافة الى وجود ميل في قبائل معينة الى النطق المفخم سببه بيئة معينة واستعداد معين في تركيب أعضاء النق لتلقي ذلك اللفظ .

ونلاحظ ان الذين ينطقون الف التفخيم لا يعرفون الالف المنصوبة. وما نجده ونسمعه منهم أحيانا من نطق الالف المنصوبة سببه الاختلاط بلهجات اخرى أقوى من لهجتهم .

أما انتشار الف التفخيم أو الواو في الجزيرة وبادية الشام فتشير اليه النصوص الآتية . ينقل بن جني نصا عن أبي علي الفارسي الذي يقول (دخلت هيتاً وأنا اريد الانحدار منها الى بغداد فسمعت أهلها ينطقون بفتحة غريبة م أسمعها من قبل فعجبت منها . وأقمنا هنالك أياما الى أن صلح الطريق للمسير ، فاذا انني قد تكلمت مع القوم بها)[١٩] وانني أظن ان (الفتحة الغريبة) التي كان يقصدها أبو علي لا تعدو أن تكون الف التفخيم التي ما زالت سائدة في هيت حتى هذا اليوم . وان مصطلح الفتح كمرادف للنصب استخدمه النحاة بعد سيبويه بمعنى التفخيم أو ممثلا

---

(١٩) بن جني : الخصائص ، ١/٩٢ .

للمرحلة الاخيرة من الفتح وهو الفتح الشديد أو التفخيم المحض .(٢٠)

وكما سلف يروي بن جني أيضا تفخيم الف (سـلام) وهي من الكلمات كثيرة الدولة وان مما يسند رواية ابن جني ان كلمة (سلام) هذه جاءت فى النصوص الصفوية ، نسبة الى الصفا الواقعة جنوب شرق دمشق ، مكتوبة بصورة (سلوم) بالواو ، مما يشير الى انها كانت تنطق في تلك اللهجة العربية القديمة بالواو .(٢١)

والتفخيم معروف كذلك فى جملة لهجات عربية حديثة مثل لهجة الفلاحين فى جزيرة مالطا ، وفي لهجة مُهري نسبة الى مهرة في جنوب الجزيرة العربية ، وفي بعض المناطق الشمالية من فلسطين ، وفى المناطق الجبلية السورية ، وفي عدد من المناطق اللبنانية مثـل طـرابلس وبعـض المناطق التي تنتشر فيها المارونية .(٢٢)

أما اللغات السامية التي تنطق الف المدّ واومدّ فهي : نبطيّة البتراء القريبة من الحجاز وهي لغة الانباط العرب ، والارامية الغربية بما فيهـا السريانية الغربية والعبرية والفنيقية ، كما وردت بعض الكلمات الكنعانية مكتوبة بالواو بدلا من الف المدّ في سجلات تل العمارنة ، كمـا جـاءت كذلك كلمات ثمودية وصفوية اصيبت فى مناطق مختلفة من بادية الشام وشمال الحجاز .

ان هذا كله يشير الى أن نطق الف المدّ واومدّ كان ينتشر في بقعة جغرافية يمكن أن تحدد بشمال الحجاز وفلسطين وأجزء من بادية الشام .

---

(٢٠) ابن الجزرى : النشر ... ، ٢/٢٩ـ٣٠ .

(21) C. Rabin : Ancient West-Arabian, 107

(22) C. Brockelmann: GVG 1/142-143 ; C. Rabin: Ancient West-Arabian, 106 ; Handbuch der Semitistik, 3 Band, 2 & 3 Abschnitt, 232.

واليوم نجد الف التفخيم قريبة من هذه المنطقة ، في مناطق من منطقة الجزيرة العراقية التي هى امتداد طبيعي لبادية الشام وفي أجزاء من فلسطين وسوريا ولبنان • وكل ذلك واقع فى الغرب ، باستثناء المهرية في جنوب جزيرة العرب •

وبناء على هذا كله أقول ان الف التفخيم من خصائص اللهجات العربية الشمالية الغربية قديما وحديثا لا الشرقية التي تمتاز بالامالة • أما بالنسبة للهجات الجزيرة العراقية فان أنف التفخيم تمثل الجناح الغربى منها خلاف الجناح الشرقي الذى يختص بالامالة •

المصادر

١ ـ سيبويه : ابو بشر عمرو • الكتاب ، جزءان • طبعة بالاوفسيت ـ مكتبة المثنى عن ط١ ، القاهرة ١٣١٧هـ •

٢ ـ ابن الانباري : أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد : أسرار العربية تحقيق محمد بهجة البيطار ، دمشق ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) •

٣ ـ ابن فارس ، أحمد القزويني : الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها •

٤ ـ ابن جني : أبو الفتح عثمان : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار، ٣ أجزاء ـ القاهرة ١٣٧١هـ = ١٩٥٢م •

٥ ـ ••••• : سر صناعة الاعراب ، تحقيق مصطفى السقا ، محمد الزفزاف ، ابراهيم مصطفى عبدالله أمين ، ط١ جزءان ، القاهرة ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م

٦ ـ ابن يعيش ، أبو البقاء : شرح مفصل الزمخشري ، تحقيق الدكتور ج• يان ، لايبزك ١٨٨٣ •

٧ ـ الاشموني : شرح الاشموني على الفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، ٣ أجزاء ، ط١ ، بيروت ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م .

٨ ـ السيوطي ، جلال الدين : الاشباه والنظائر ، ٤ أجزاء ، ط٢ ، حيدر آباد الدكن ١٣٦٠هـ .

٩ ـ ابن الجزري ، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي : النشر في القراءات العشر ، تحقيق علي محمد الضباع . جزان . القاهرة .

١٠ـ أنيس ابراهيم ، الدكتور : في اللهجات العربية ، ط٣ ، القاهرة ١٩٦٥ .

١١ـ ..... : الاصوات اللغوية ، ط٣ ، القاهرة ١٩٦١ .

(12) Brockelmann, Carl: Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen. 2 Bde. Nachdruck der Ausgabe von Berlin 1908. 1913. Hildesheim 1961.

(13) Rabin, Chaim: Ancient West-Arabian. London 1951.

(14) Semitistik. 2. & 3. Abschnitt. Leiden 1954. (Handbuch der Orientalistik. Hrsg. von Bertold spuler. 3. Bd.).

(15) Malmberg, Bertil: Phonetics. New York 1963.